

قراءة سيميائية أنثروبولوجية للومضة الإشهارية "الفتاة و نجمة" الخاصة بالمؤسسة التجارية نجمة

روابحية حليلة
جامعة باجي مختار عنابة

ملخص:

حاولنا من خلال هذه الدراسة التركيز على الأبعاد و القيم التي تبرز في الخطاب الإشهاري التلفزيوني الخاص بالمؤسسة التجارية نجمة الموجه للمستهلك الجزائري .

الكلمات المفتاحية : الإشهار ، الخطاب الإشهاري ، السيميائية ، أبعاد الخطاب الإشهاري المتلفز ، التحليل السينمائي ، التقطيع الفني ، تحليل المشاهد ...

المدخل

قبل الشروع في الدراسة ، يجدر بنا الإشارة إلى أن تحليل الفيلم الإشهاري يعني تجزئة بنيتة إلى مكوناتها الأساسية "اللقطات" ثم إعادة بناءه لأهداف تخدم التحليل و نعني بذلك تحليل مختلف العلاقات التي تجمع بين عناصره لغرض الكشف عن مستواه التعيين، و هذا لن يتأتى إلا باللجوء إلى شبكة التحليل السينمائي القائمة أساسا على تقنية التقطع الفني:



الجدول رقم 01 :المجموع: مدة الومضة 31 ثانية.

9* -	مدة اللقطة	محتوى اللقطة	زاوية التصوير	سلم اللقطة	الصوت	الموسيقى
01	1 ثانية	مدخل شرفة واسعة على شكل رواق شبيه بأروقة القصور القديمة، ونوافذ عديدة بستائر بيضاء شفافة تتمايل مع نسيمات الهواء مواجهة لضوء القمر و مطلة على حديقة من شجر النخيل و من الملاحظ أنه وقت الليل "المكان مظلم".	عادية	لقطة عامة	لا يوجد صوت	قرع طبول و عزف متسارع للكمان
02	2 ثانية	منظر جانبي لهذه الشرفة مع التركيز على الستائر المتطايرة و الريح تهبها من كل جانب و نور يخترق الظلام و ينعكس على الستائر.	عادية	لقطة عامة	صوت أوبرالي ملحمي بشري "نساء + رجال"	عزف بالكمان
03	2 ثانية	تظهر في الظلام و من بعيد فتاة تلبس الأبيض و هي تجري حافية القدمين.	عادية	لقطة عامة	صوت أوبرالي ملحمي بشري "نساء +رجال"	عزف بالكمان
04	6 ثانية	تظهر في هذه اللقطة الفتاة و هي متجهة إلى الأمام تجري مبتعدة بيدها الستائر المتمايلة و الرواق الطويل و نلاحظ كذلك أن الرواق يحتوي على	عادية	لقطة عامة	صوت أوبرالي ملحمي بشري "نساء +رجال"	عزف بالكمان

				فوانيس مصففة على طوله.		
05+	2 ثانية	يظهر في هذه اللقطة وجه الفتاة الشابة و شعرها الأسود المتطاير من الجري و الريح و قد أشرق من ضوء بعيد و الابتسامة ترتسم على وجهها و هي مازالت تجري و تبعد الستائر .	عادية	لقطة عامة	صوت أوبرالي ملحني بشري " نساء +رجال"	عزف بالكمان
06	2 ثانية	تتوقف الشابة و يضيء نور القمر المقابل لها ، وجهها لتبدو ملامحه، وهي تبسم و كلها شوق و لهفة للقاء شيء ما "مصدر الضوء" كما تبدو الفسيفساء المرسومة على الشرفة.	عادية	قريبة حتى الصورة	صوت أوبرالي ملحني بشري " نساء +رجال	عزف بالكمان
07	2 ثانية	ترفع الفتاة رأسها و تركز الكاميرا على عينها و هي تفتح ليرتسم بداخلها القمر مضيء.	غطسية	قريبة جدا	صوت أوبرالي ملحني بشري " نساء +رجال"	عزف بالكمان

و لأن دراسة المستوى التعييني للفيلم الإشعاري لا تقف عند حدود تعيين الوحدات الدنيا المكونة له (القطات)، و إنما تتعداها لدراسة مختلف العلاقات التي تربط بينها استلزم منهجيا تحليل كل من:

* تحليل المشاهد (Analyse des sequence):

و لما كان المشهد في السينما هو سلسلة من المناظر و اللقطات التي لا تدور بالضرورة في نفس الديكور و لكنها تكون معا كلا متكامل في الدلالة و المعنى، استخلصنا من تحليل الفيلم السابق ثلاثة مشاهد رئيسية ندرسها على النحو التالي:

الجدول رقم 02

طبيعة المشهد و خصائصه التصويرية	دراسة مختلف المتغيرات المشهدية			تحليل الثوابت المتعلقة بالسيناروي "دراسة القيم الحكائية"
	متغير الزمن	التسلسل المشهدي	الإيقاع المشهدي	
المشهد الأول: و هو ذلك الجزء السينمائي المتألف من اللقطات التي تصور الديكور و الشخصية "الفتاة"	صيغة زمنية متخيلة "زمن الحلم" ترتكز على استعراض الأحداث في زمن خيالي	و يرتكز على المونتاج الروائي المتوازن الذي يجمع بين أحداث يمكن أن تكون شديدة الثبات من الناحية الزمنية و لكنها متقاربة في الموضوع و المعنى	منسجم داخليا عن طريق التناغم في الانتقال من متتالية سينمائية إلى أخرى.	عدم وجود أي قيم حكائية
المشهد الثاني: و هو الجزء الذي يصور اجتماع الشخصية موضوع الإشهار	صيغة زمنية متخيلة "زمن الحلم" ترتكز على استعراض الأحداث في زمن خيالي	و يرتكز على المونتاج الروائي المتوازن الذي يجمع بين أحداث يمكن أن تكون شديدة الثبات من الناحية	منسجم داخليا عن طريق التناغم في الانتقال من متتالية سينمائية إلى أخرى.	عدم وجود أي قيم حكائية

المشهد	الزمنية و لكنها مقارنة في الموضوع و المعنى		
المشهد الثالث: ويتضمن كل اللقطات التي تصور خاتمة الفيلم الإشعاري، بما في ذلك صورة النجمة أو ما يمكن لنا أن نطلق عليها بالنجمة الشخصية لكونها حاملة لصفات و حركة ... و غيرها من الأمور التي تنتقل بالنجمة من العالم المادي المجرد الجامد إلى العالم النفسي الحسي المتحرك ... إضافة إلى الديكور العام و الجو الخيالي السائد "جو الأحلام" الذي يجسد القيمة المنتظرة من استعمال هذا المنح الغامض ...	"زمن الحلم" تتركز على استعراض الأحداث في زمن خيالي	تحقق بمونتاج روائي متوازن يقوم على توظيف الرمز في الاستدلال على قيمة السلعة "النجمة، الديكور العام..."	انسجام داخلي وفرة عاملان أساسيان هما: 1 - وحدة العلاقات الزمنية بين اللقطات. 2 - وحدة الفكرة المعالجة في هذا المشهد. تضمن هذا المشهد خلافا للمشاهدين السابقين استعمالا للسان "للتعليق على السلعة" الممثلة في النجمة الغامضة و غموضها يتمثل في عدم البوح بنوع هذه السلعة أو فيما تستخدم ... بهدف إثارة فضول المتلقي لمعرفة ماهية هذه السلعة النجمة، و حيث أن اللسان ظاهرة اجتماعية تتجاوز حدود الأفراد المتكلمين، فإنها تعتبر المعيار الاتصالي الذي ينظم قواعد التعامل اللغوي بين أعضاء جماعة اجتماعية ما.

و لأن المشاهد لا يقتصر على التمثيل الأيقوني فقط "الصورة" و إنما يستكمل سينمائيا بعنصر الصوت الذي يضيف طابع الواقعية و يضاعف من القدرة الاقناعية لهذه الصورة ... لذا استلزم الأمر:

*** تحليل طبيعة العلاقة بين شريط الصوت و الصورة في هذه الومضة الإشهارية:**

من المعلوم و المتعارف عليه بأن التعبير الصوتي (l'expression sonore) لا ينحصر في الموسيقى بل يشمل كل الظواهر الصوتية المرافقة للصورة بما في ذلك الأصوات الطبيعية الأصوات البشرية، و بعض أنواع الضجيج المصطنع (le bruitage) ...

و أيا تكن طبيعة الأصوات الموظفة في السينما، فهي ليست مجرد عناصر سمعية (Des éléments auditif)، و إنما هي علامات خاصة signes spécifiques تعزز من قيمة تلاحم و ترابط فكرة الإدراك البصري (la cohérence de la perception visuelle)¹.

و مما نلاحظه على الفيلم الإشهاري الخاص بالمرأة و النجمة أو كما أطلقنا عليه الحلم ... أنه تضمن نوعين من العناصر السمعية تجسد إحداها في موسيقى تصويرية أوبرالية ملحمية بشرية حاولت تمثيل موضوع الإشهار في بعده الرمزي و الخيالي "عالم الأحلام" ... أما العنصر الثاني و المتمثل في صوت المرأة في الختام "قريبا، عالم جديد في الجزائر".

و من العناصر التي تضاف إلى منهجية تحليل الفيلم الإشهاري و ستكمل بها أول مرحلة من دراسة المحور التعييني؛ تحليل العبارة الخطية في الفيلم الإشهاري و هذا:

*** فنيا من حيث تقنيات طباعتها:** من الملاحظ على فيلم المرأة و النجمة أنه لم يصرح بماهية السلعة أو مجالات استخدامها، حيث نجد أن المشهر عمد إلى إضفاء صفة الغموض و السحر و الخيال على هذه السلعة التي ستدخل السوق الجزائرية قريبا ... إضافة إلى ميله نحو أنسنة السلعة نجمة، و تحميلها بصفات و خصائص أعطت قيمة لاسم العلامة ... ليتماهى ما هو اقتصادي، تجاري، مادي ... بما هو بشري ...

لذا نجد أن المشهر عمد إلى عدم كتابة اسم السلعة و إنما اكتفى بالإشارة إليها بالنجمة ...

*** سيميولوجيا من حيث دورها ذي البعد الثنائي في:**

¹ - Christian Metz: Cinéma et langage, éd d'organisation, Paris, 1989, p 95.

1- تجسيد وظيفة الترسخ: و هي الوظيفة التي ترقى بها الرسالة الألسنية على مستوى تحديد جملة المعاني التي يمكن أن تطرحها الصورة ككيان سيميولوجي حامل لعدة دلالات، وفيما يخص هذا الفيلم يمكن القول بأن الرسالة اللسانية التي تضمنها الفيلم لم تضطلع هذه المهمة لأنها لم تتمكن وحدها من ترسخ معنى و مدلول سلعة، بقدر ما جاءت مستقرة و مركبة للمتلقي ... من خلال تشويش حواسه و خرق أفق انتظاره ... ليبدأ بطرح الأسئلة في نفسه ما هذه النجمة؟ و ما هو هذا لعالم الجديد المزعوم؟ ... و ما هي نجمة السلعة؟ ... و غيرها من الأسئلة التي تتزاحم في رأس المشاهد ... و مع ذلك يمكننا القول أن نجمة نجحت من خلال هذه الوصلة لإشهارية في لفت انتباه المشاهد و إثارة فضوله سيعرف المزيد عن هذه السلعة السحرية الغامضة

2- وظيفة المناوبة: لأن الرسالة اللسانية في فيلم المرأة و النجمة لم يستطيع تجسيد وظيفة الترسخ بشكل واضح، إلا أنها لا تشكل وظيفة المناوبة بشكل صريح و واضح ، لأن الرسالة اللسانية لم تنوب عن الصورة التي جاءت إلى حد ما بليغة و حاملة لدلالات غنية ...

و بهذا التحليل العام يمكن استجماع العناصر الضرورية التي تؤهلنا لفهم الفيلم الإشهاري و تأويله ... و من ثمة معرفة ما يلي:

* **قيمة نوعه (valeur de typologie):** لأن مادة تعبير الفيلم (Substance d'expression) هي التي تحدد قيمة نوعه و لأن هذا الفيلم يتعلق بسلعة يكتسي قيمة استعمالية و بعد رمزي و ثقافي ... إلا أن الملاحظ لهذا الإشهار يجد ضموه القيمة الاستعمالية للسلعة و ما تمثله ... و كل ما تنطوي عليه من وظيفة نفعية مادية ليطمئني في ما هو أعظم و أسما ... فهي سلعة محققة للأحلام شبيهة بمصباح علاء الدين السحري أو الخاتم العجيب في القصص الخرافية و الأساطير القديمة ... فهي تعطي و لا تنتظر المقابل لأنها أسما و أعلا و أرفع من ذلك كيف لا و هي نجمة المعطاءة ...

و بهذا يمكننا تصنيف الفيلم الإشهاري المرأة و نجمة ضمن الأفلام التي تتمحور حول الجو الرمزي للسلعة: و نقصد هنا بالجو الرمزي جملة التضمينات الثقافية التي تحيط بجو تقديم السلعة و قد تعددت مظاهرها في الفيلم الإشهاري المرأة و نجمة ... فنجدها مجسدة في اللباس و الديكور و بعض الإحالات اللغوية ...

* **المقاربة الإبداعية المستعملة في هذا الفيلم الإشهاري:** بني هذا الإشهار على أساس نجومية السلعة أو المنتج، فكانت بذلك نجمة هي محور كل المضمون الإشهاري و ملخص الخصائص الفيزيائية و المعنوية و الأسلوب الذي قدمت به السلعة. و بهذا نستنتج أن المقاربة الإبداعية المطبقة في هذا الفيلم الإشهاري هي "نجم الإستراتيجية"

(La star stratégie) و فيها تمت الإشارة إلى بعض الخصائص الفيزيائية كالجمال و الجودة و الشباب و النور ... و بعض القيم الرمزية كالضمان، الأمل، الحب، التواصل،... و هي جميعا ميزات قدمت بأسلوب يوحي إلى التراث و الارتباط بالأصالة و التقاليد مع تقبل و احتضان الجديد كما هو الحال في المثل الجزائري "الجديد حبو و القديم لا تفرط فيه".

* نوع الرسالة الموظفة في هذا الفيلم الإشهاري:

مما لا شك فيه أن نوع الرسالة التي توظف في الفيلم تتوافق عادة و طبيعة الصياغة الفنية و لهذا وردت الرسالة التي تضمنها هذا الفيلم إعلامية تخبر المستهلك الجزائري عن ميلاد مؤسسة نجمة و ظهور كيان جديد فيها ... مع استغلال مختلف الدوافع لإثارة مستقبل الرسالة و إقناعه باقتناء و تجربة السلعة، و هو عادة الأسلوب المستخدم في الإشهار عن السلع أو الخدمات الجديدة و التي لا يزال الجمهور غير مقتنع بفوائدها أو مزاياها.

* الصياغة الفنية لهذا الإشهار:

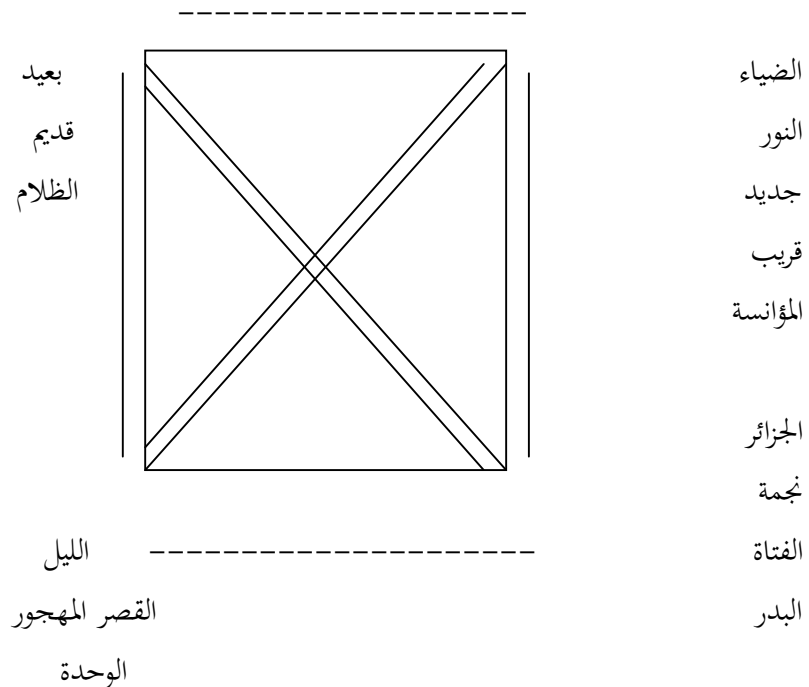
تحدد الصياغة الفنية في الإشهار التلفزيوني بطبيعة القالب الفني المستخدم في التعبير عن فكرة الإشهار، و لأن موضوع الإشهار في فيلم المرأة و نجمة مبني على سرد حلم الفتاة شابة و نجمة ... و هو شبيه بقصص ألف ليلة و ليلة و قصص الأميرات و القصور ... لذا نجد أن الصياغة الفنية المستخدمة في هذا الفيلم هي الصياغة الإخبارية التي تقوم على إخبار قصة المنتج الجديد محقق الأحلام و عن ظهوره في السوق الجزائرية ... و إذا كان المستوى التعييني في الفيلم الإشهاري يرتبط بالشكل التقني و الصياغة الفنية للموضوع فإن المستوى التضميني هو نتاج الفيلم منظورا له كخطاب ... أي كحملة من الدلالات داخلية في علاقات ذات أبعاد مختلفة نفسية، اجتماعية، ثقافية،... و بتعبير آخر يمكن القول أن المستوى التضميني للفيلم هو جملة الصيغ الدلالية و الأنظمة التي تختصر معنى الفيلم و هي:

* **نظام اللغة أو البنية النصية (Structure textuelle):** تتألف البنية النصية لهذا الفيلم الإشهاري على جملة من المفاهيم الإشهارية صيغت في شكل ملفوظات مكثفة (Enonces condeces) اختصرت معنى و مدلول قيمة الخطاب الإشهاري الذي انطوى على تقويم تطبيقي عملي (Valorisation pratique) يتناسب مع صفات السلعة و خصائصها و تتمثل هذه الخصائص في: النور، الضياء، الجمال، الرفعة، السمو، العطاء، الشباب الدائم، الحكمة، ... و غيرها من الصفات الممثلة للنجوم.

و كما هو ملاحظ فإن البنية النصية "قريبا، عالم جديد في الجزائر" ... هي بنية اسمية تهدف إلى إخبار المستهلك بالمنتج الجديد نجمة الذي يقدم للجزائريين عالما جديدا ساحرا ثابتا و مستقرا ثبات الجزائر

المستقرة و الآمنة لأن في السابق "العشرية السوداء" لم يكن يشغل بال الجزائري سوى أن يحضى بالأمان و الهناء ... فهو كئيب، عابس منطوي منغلق على نفسه، أما الآن فهو متعطش لكل ما هو جديد و حديث ... و يريد أن تعوض ما فاتته و ضاع من عمره ... إنه يرغب في أن يحتضن العالم بيديه و يتلهف لمسيرة الحضارة و ركب التقدم ... و إذا كان الغرض من مثل هذا الاستخدام اللغوي هو تسهيل ترسيخه في ذهن المتلقي إلا أنه من الناحية الدلالية يعتبر ناقصا بالنظر إلى التركيز على الجمع السياقي للدلائل اللغوية "المفاهيم" دون إعارة الاهتمام للوجه الآخر لإثراء المعنى المتمثل في التقابل السليبي أو التعارض، إلا أن هذا التقابل يمكن فهمه و استخلاصه عن طريق الاستعانة بالجانب الأيقوني و الذي كان فيه التعارض صريحا يرى بالعين المجردة. و هذا ما يتأكد بتطبيق المربع السيميائي (Le carré sémiotique) الذي سوف يفسر في هذه الحالة على:

الشكل رقم 01:



و مثلما هو موضح فقد أسفر المربع على أنواع القيم اللغوية أو المفاهيم و طبيعة العلاقات التي تميز التفاعل بينها، و التي يمكن حصرها في:

- 1- علاقة تضاد (Relation de contrariété) بين قيم الاستحسان و الاستياء.
 - 2- علاقة تعارض (Relation de contradiction) بين قيم عدم الاستياء و قيم الاستياء.
 - 3- علاقة تكامل (Relation de complémentarité) قيم استحسان و قيم عدم الاستياء.
 - 4- علاقة تناقض "قيم استحسان و قيم عدم الاستحسان".
- و لأن حلقة الدلالة في المضمون الإشهاري لا تكتمل إلا بتوفر أربعة مفاهيم عامة تضمن في علاقاتها جملة من الاختلافات تتراوح بين التعدد (Pluralite) و التنوع (Diversité)، التنافر (Hétérogénéité)، فقد كان الحقل الدلالي الخاص بالفيلم الإشهاري المرأة و نجمة غنيا في أبعاده، عادلا في تفاعل مدلولاته ...
- و حيث أن وظيفة اللغة المستعملة في الخطاب الإشهاري هي التي تحدد طبيعة المضمون من الناحية السيميائية يمكن أن نخلص إلى أن الفيلم الإشهاري قد جمع بين عدة ضروب من الإشهار نذكر منها:
- أ- الإشهار المرجعي (Publicité référentielle): و هو ما نلمسه في محاولة إعادة إنتاج الواقع "الوظيفة التمثيلية للغة" و تكييف ذلك الواقع و حقيقة ما يعيشه المستهلك "مرجعية الديكور، اللباس، الأثاث ..."
- ب- الإشهار الأسطوري (Publicité substantielle): و هو الإشهار الذي يتم فيه بناء اللغة بأسلوب يضفي على المضمون شيئا من الشاعرية و الحنين إلى الماضي ... و هو ما تجسد في فكرة الديكور المشابه لما كان سائدا في وقت مضى ...
- ج- الإشهار الجوهرى (Publicité substantielle): و هو ما تؤكد مقاربة (نجومية السلعة) التي ركزت في مادتها الأساسية على تمثيل حقيقة و جوهر المنتج ذاته (استعراض أهمية و قيمة السلعة ...)
- و بهذا الجمع بين كل هذه الأنواع، كان الفيلم الإشهاري المرأة و نجمة نسقا دلاليا، وظيفيا متباينا ناشد الربط بين مهمة عرض السلعة و حقيقة ما يعيشه المستهلك "الديكور اللباس ..."، و ما تتطلبه هاتين الوظيفتين من ترميز و إحياء لتجسيد فكرة المضمون الإشهاري.
- و إذا كان لفكرة الربط هذه قيمتها في تمثيل عدة جوانب في الإشهار "المرجعية، الواقع و الرمز" فإنها من منظور المنطق سياق متناقض يجمع بين البناء الجزئي للحقيقة ممثلا في الإشهار الجوهرى، و البناء الكلي للرمز ممثلا في الإشهار الأسطوري ، ومهما يكن فإن النص وحده ليس كفيلا بتحديد معنى الفيلم الإشهاري، و إنما لا بد أيضا من تدعيمه بدراسة الجانب الأيقوني.

* التمثيلات الأيقونية "الصور": رغم أن الصور صيغ تضمينية تعزز من مدلول الفيلم إلا أن وظيفتها في الإشهار عن نجمة لم تزل عن حدود الإبلاغ فقط بهذه السلعة التي ستدخل السوق الجزائرية ... لكن هذا لم يمنع من وجود بعد دلالي غني شبتت و حملت به الصور في هذا الفيلم الإشهاري، ... و لا تخرج الصور التي تركز على الإبلاغ في فيلم ما عن مهمتين اثنتين هما:

1- الوظيفة الاخبارية: و هي الوظيفة التي يتم بموجبها ترجمة المعلومات الواردة إلى وقائع بصرية مرئية.

1 - الوظيفة السيكلوجية: و هي عادة الوظيفة الملازمة للإخبار و التي يراد بها خلق الاهتمام بالموضوع من خلال توظيف أساليب مؤثرة في رواية النص الإشهاري و قد تستطيع الصور بهذا المخطط التعبيري (Plan dexpression) أن تؤثر في المتلقي و لكنها لا تستطيع أن تثير لديه إدراك مقاربا (Preception proche) لما يكونه عن الواقع الثقافي المعيش².

و نظرا لعدم وضوح الإطار الرمزي الذي يشرك المتلقي في مضمون الرسالة الإشهارية و يحقق بذلك صورة ذاته اقتضت البلاغة و هي الأسلوب الذي نلمس فيه بحسب "بارث" "Barthes" طريقة الإقناع الخاصة (Mode de persuasion spécifique) على التجاوز المنطقي (Proscimité logique) في الربط بين السبب و ما ينتج عنه أي الربط بين الوعد و الفائدة من الإشهار.

إلا أن هذا الأمر لا ينفي وجود شحنة من التضمينات الثقافية القوية فالإشهار يحكي حلم فتاة أمازيغية شابة جميلة المنظر تجري في شرفة قصر فسيح يطل على حديقة غناء و هي تتطلع إلى السماء بنظرة كلها شوق و لهفة لقاء شيء ما و فجأة ترفع الحسناء وجهها للسماء فتري القمر بدرا منيرا في كبد الليل كأنه حبة لؤلؤ و تظهر من خلفه نجمة تتسارع في النزول من السماء لتحتضن تلك الأميرة الشابة و ترتقي بين يديها و كما كانت النجمة تستمد نورها و ضيائها من القمر المنير عندما كانت في السماء أصبحت تستمد الآن نورها و ضيائها من وجه قمر أربعة عشر الجزائرية "الشابة الجميلة"

فنجمة هي حلم كل فتاة بأن تصبح أميرة من أميرات القصص و الخرافات ... و حلم كل شاب في الحصول على فتاة أحلامه ... تلك الأميرة الجميلة التي تسكن قصر السلطان ... كما نجد أن صورة المرأة ارتبطت تارة في شيء من الحميمية و الانسجام و التماثل بالبدر "القمر المكتمل" كون الاثنين يجمعهما الضياء و الجمال و

² - Martine Joly: Image et discours, éd Nathan, Paris, 2002, p 15.

الإشراق و الامتداد إلى الأرض فكما أن المرأة تعد سببا رئيسيا في التكاثر و الإخصاب و تعمير الأرض بالنسل يعد القمر أيضا سببا رئيسيا في عملية تكاثر النباتات ... المد و الجزر و إثارة الأرض ... و تارة أخرى نجدها تتماهى مع نجمة حتى تصبح نجمة الفتاة و الفتاة نجمة و لأن المرأة أرض و الأرض عرض حالها في ذلك حال المرأة لتصبح بذلك نجمة هي الأرض أي نجمة تبحث عن التماهي في الجزائر من خلال الاتحاد بالجزائريين ...



و إذا كانت الصورة قوية بما تتضمنه من علاقات قياسية في ترجمة الواقع، فهي قوية أيضا بما تتضمنه من ألوان و هو الأمر يدفعنا لدراسة:

* **المدونة اللونية (Code colorial ou chromatique):** يستخدم اللون في السينما من أجل الحصول على تأثير معين و ليس فقط لأغراض جمالية أو لتقريب الفكرة ما أمكن من الطبيعة، و على هذا الأساس كان بعض الباحثين في مجال سيميولوجيا الإشهار و على رأسهم "فرانسوا راسيتي" **Francois Rastier** يعززون تأثير الصورة إلى المعنى المتعلق باللون و ليس إلى اللون نفسه و لهذا كان "راسيتي" **"Rastier"** يقول: إن اللون مثله كمثل بقية الوسائل عبارة عن رصيد مدخر لدى المصمم يصبح عظيم الفائدة إذا استطاع التحكم في إنتاجه ، بينما يصبح مثل القيد الذي يحد من قدرته على التعبير إذا ما جهل وظائفه الرمزية و الدلالية"³.

³ - François Rastier: Sémantique interprétative, éd La découverte, Paris, 1998, p17.

أ- تحديد جغرافيا الألوان المستعملة: و ذلك من حيث نوع، قوة و قيمة كل لون و انتهينا إلى وجود عدة ألوان متفاوتة في القوة و القيمة و مختلفة في النوع بين الأبيض و الأسود و الأخضر و الرمادي.

ب- تحديد الارتباطات السيكولوجية لهذه الألوان: إن الفعل النفسي لدينا تجاه بعض الألوان يرجع إلى حد ما للمعاني الرمزية التي تحتويها، حيث استخدمت الألوان على مر العصور القديمة كرموز لها دلالات معينة لأولئك الذين كانوا لا يجيدون القراءة، فمثلا استخدام اللون الأبيض يوحي بالطهارة و الأمل و الإشراق و الأسود دلالة على الشر أو الموت و الفناء بينما كان الرمادي يرمز إلى التوبة و على نفس المنوال بقية الألوان ...

و الملاحظ للفيلم الإشعاري "المرأة و نجمة" يجد طغيان كل من اللونين الأبيض و الأسود، و بكميات أقل جدا نجد اللون الأخضر و الرمادي الذي تلونت به النبات في الليل "الوقت المناسب للحلم" حيث نجد اللون الأسود يظهر في لون السماء وقت الليل و العتمة و هو كما قلنا سابقا يدل على الموت الحضاري و التكنولوجي الذي عايشته الجزائر بعد سنين من الخراب و الدمار ... أما اللون الأبيض فنجد في البدر و نجمة و لون ستائر نوافذ الشرفة و ثياب الفتاة الحسناء ليدل على العفة و الطهارة و النقاء و الأمل ...

و هكذا نجد بأن الشاشة لم تمتلئ بمختلف الألوان بل استخدم المشهر الألوان بحكمة و بحذر فهو يحتاج إلى لون مشرق مضيء "اللون الأبيض - لون النجوم" داحر للظلام و الموت "اللون الأسود - العقم الحضاري".

و بهذا لم يقع المشهر في شرك زخم الألوان في السينما ... حيث حذر "فرانسوا راسيتي" من الانسياق نحو تضمين الإشهار الكثير من الألوان لأن في ذلك تشويه لجمالياته و تعزيز للعلاقات الفراغية بين أجزاءه⁴.

ج- المدلول الثقافي لهذه الألوان: يتفق الجميع على أن معاني الألوان الثقافية تتأثر بالبيئة و النسق الاجتماعي الذي تتواجد فيه، و على هذا الأساس كان اللباس الأبيض "و هو لباس تقليدي" الملحفة الأمازيغية رمزا للنقاء و الطهارة و العفة، و هي فكرة مستوحاة من الدين الإسلامي الحنيف الذي يربط الأبيض بالصفاء، الخير، الجنة، الإيمان ... و غيرها من القيم الإيجابية.

و يحتوي اللون الأخضر على تباين درجاته على مسحة من الهدوء و السكينة فهو لون البراعم و الأغصان الصغيرة و النبتة الغضة و الاخضرار نفسه ... و هو سمات الفئة المستهدفة بالنسبة لمؤسسة نجمة "فئة الشباب المتعطش للجديد ..."، و لكنه من منظور ثقافي يكتسي معاني مختلفة بين الإسلام و المسيحية فإذا كان اللون الأخضر في الإسلام لا يحتمل أي معنى شائن و يستخدم كرمز لأهل الجنة و الحكمة ... فإنه في المسيحية يدل

⁴ - Ibid. p 21.

على معان مناقضة فهو رمز الشر و دلالة على السوء و أنه في بعض الرسوم المسيحية قد رسم إبليس بجلد أخضر اللون و بعيون خضراء ضخمة و هو يحرض المسيحيين على الغواية و الشر...⁵ و عن اللون الأسود فهو في أغلب الشعوب رمز الحزن و الموت و الظلم....

و مهما تكن قيمة اللون و دلالاته الاجتماعية فهو بدون إضاءة عنصر درامي ناقص، و هذا يعني أن الإضاءة عامل أساسي في التصوير اللوني، فبدونها تصبح صور الفيلم شبيهة ببطاقات البريد الجامدة. و بما أن صور الفيلم الإشعاري المرأة و نجمة تم تصويرها في ظلام الليل و تحت ضوء القمر المكتمل و النجوم تم الاعتماد على تقنية الإضاءة المركزة، و هي ضرب من التعريض الضوئي غير المتوازن الذي يشمل بعض اللقطات فقط.

* **الموسيقى:** و الحقيقة أن الموسيقى في هذا الفيلم قد وظفت على سبيل خلق جو من السحر و الغموض و الملحمية، و هذا يعني أن هناك ترابط بين المحتوى "مادة الفيلم التي تنطوي على الكثير من الرموز و التضمينات الثقافية" و دلالة الموسيقى التي تعزز تلك المرجعية.

و بهذا نلخص إلى أن الموسيقى المستعملة في هذا الفيلم هي موسيقى الرسالة (La musique) (message) و هو النوع الذي يمثل المحتوى الإشعاري تمثيلا بالمعادلة "موسيقى أوبرالية ملحمية تتماشى و تتناسب مع موضوع القصة و الحلم".

و بهذا العرض العام، نكون قد استكملنا خطوات تحليل الفيلم و استوفينا شروط بلوغ البنية فيه ... و هو الإجراء الذي يؤهلنا بدوره إلى استخلاص أهم الأبعاد و القيم الاتصالية الكامنة في محتواه و هو موضوع إشكالية بحثنا. و حتى تتمكن من تحديد القيم بأسلوب علمي - ندرس مدى حضور كل قيمة على حدة ثم نتبين أي القيم الأكثر تمثيلا في هذا الفيلم.

* **قيمة ارتباط المحتوى الإيديولوجي للرسالة الإشعارية:** و هي القيمة التي يمكن بموجبها تحديد:

أ- **طبيعة البناء السردية:** سبق و أن أشرنا إلى أن البنى الروائية في هذا الفيلم لم تكن جلية بالقدر الذي يمكننا من تمييز مستوياتها السردية، و من ثم تحديد القيم التي تمثل بيان الخطاب و تلك التي تجسد شرحها و توضيحها، و على هذا الأساس يمكن القول أن الخطاب الذي تضمنه فيلم المرأة و نجمة خطاب بسيط مقدمة أو افتتاحية، عرض و خاتمة.

⁵ - Ibid. p 09.

ب- أساس بناء الفكرة الإشهارية: بني الفيلم على أساس أحداث الانطباع بنجومية السلعة و الإعلام بقدمومها. * القيمة الإيحائية للمحتوى الإشهاري: تضمن الفيلم فكرة اتصالية معقدة و غير مباشرة فجاء الإشهار بصورة جديدة و مبتكرة لم يعهدها المستهلك الجزائري من قبل.

* قيمة التطابق الثقافي في المضمون الإشهاري: و هي القيمة التي تحدد الإطار الرمزي الذي يشرك المتلقي في مضمون الرسالة الإشهارية ، و يحقق بذلك صورة ذاته. و قد تضمن فيلم المرأة و نجمة العديد من المظاهر يمكن أن نسترشد من خلالها عن طبيعة الجمهور المستهدف و هي:

أ- نظام اللغة المستعمل: و هو نظام اللغة "اللسان" يتحدث به المجتمع الجزائري و يفهمه على شساعة رقعته الجغرافية، لأن قاموس كلماته: "قريبا، عالم، جديد، في الجزائر" منحدر من ثقافة عربية إسلامية واحدة ...

ب- النظام الاجتماعي: و هو غير ظاهر و جلي في هذا الإشهار إلا فيما يخص صورة المرأة التي تظهر من منظور المرأة الحاملة المتحررة ... المغربية أحيانا .. و الواثقة من نفسها و الجريئة ربما ... و المشهر يخرج المرأة الجزائرية من القالب التقليدي السائد، و الذي يصورها على أساس المرأة المهمشة المنزوية ... التي لا تعرف من الدنيا سوى البيت و الأعمال المنزلية. فالمرأة في هذا الإشهار تظهر بصورة القائدة لا المنقادة ... المتحكمة لا المحكومة ... كيف لا و هي الأميرة صاحبة الأمر و النهي ...

ج- نمط المعيشة: لقد تضمن الفيلم مظهر محدد في تعبيره عن نمط معيشة المجتمع الجزائري و المتمثل في الطبقة الغنية و هذا يتجلى فيما يلي:

1- اللباس: ترتدي المرأة في هذا الفيلم الإشهاري لباس شبيهة بالمحففة و هي ألبسة لا تزال تمثل إلى يومنا هذا رمز الأصالة و العراقة الجزائرية، و رغم قدمها فهي لا تزول بمرور الزمن لأنها ترتبط بقيم راسخة في المجتمع الجزائري الأمازيغي العربي المسلم منها: الحشمة، الحرمة، النيف واحترام الذات

2- النمط العمراني: اكتست البيت في الفيلم طابعا عمرانيا جزائريا شبيها بالقصور في الحقبة العثمانية و شرفاتها العالية، و الجدران المزينة بالفسيفساء و الفوانيس. و بهذا النموذج السكني ، يكون الفيلم، قد وظف صورة أخرى من الصور التي تحيل إلى المجتمع الجزائري، و هي صورة البناء و العمران.

و من هنا يتضح لنا أنه، و من جملة القيم التي درسناها لم تتجسد سوى قيمة واحدة، و هي قيمة التطابق الثقافي فنجمة تحاول كسب المستهلك الجزائري من خلال إستراتيجية الانتماء ... و لأنها منه و إليه فهي تخاف عليه و على مصلحته ... و لذا نجدها تعمل على جلب عالم التكنولوجيا الجديد و الساحر لهذا المستهلك الرائع.